الطريق الي كربلاء

١

مسلم بن عقيل

سفير الحريه

ترجمه: كمال السيد بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

يسرّ مؤسسة " انصاريان " أن تقدّم إلى مكتبة الفتى المسلم هذه السلسلة الجميلة .

إنها تصور باسلوب قصصي إخلاص و تضحيات رجال و أطفال وقفوا إلى جانب سيدنا الحسين (عليه السّلام) .

رجال أشدّاء و أطفال أبطال رفضوا الحياة الذليلة و ا ختاروا الشهادة في سبيل الله .

جدير بالذكر أنه سبق للمؤسسة شرف تقديم سلسلتين الأولى عن حياة سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) و المعصومين من آله ، و الاخرى عن اصحابه المخلصين .

و هي إذ تقدّم سلسلة " الطريق إلى كربلاء " فانها تعاهد عتيان الإسلام على مواصلة عملها في إتحاف مكتبة الفتى المسلم بالمزيد من الإصدارات الأخرى ... و الله الموفق

مؤسسة أنصاريان : إيران ، قم ، شارع الشهداء

صندوق البريد : ايران / قم : ١٨٧ ، الهاتف : ٧٤١٧٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك يا بارئ العالمين
انت الرحيم ، و انت المعين...
و اياك يا ربّنا نستعين...
بنعماك نحيا و انت الاله
تعاليت يا ارحم الراحمين...
حياة البحار ، و صخر الجبال
تنادي بحمدك يا ذا الجلال...
تباركت يا أحسن الخالقين

الاهداء

إلى كل الذين ساروا على خط الحسين في الطريق إلى كربلاء ...

في عام ٦٠ هـــ ، مات معاوية بن أبي سفيان . مات بعد أن حكم بلاد الإسلام أكثر من عشرين سنة . مات بعد أن قتل في مدة حكمه كثيرا من صحابة سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) من بينهم حجر بن عدي الكندي ، عمرو بن الحمق الخزاعي و رشيد الهجري .

كما اغتال بالسمّ الإمام الحسن بن علي (عليه السَّلام) سبط النبي (صلى الله عليه و آله) و مالك الأشتر و سعد بن أبي وقّاص و غيرهم .

كان معاوية قد عهد بالحكم إلى ولده يزيد ، و أصبحت الخلافة ملكا يورِّثه الآباء للأبناء .

كان المسلمون يعرفون من هو يزيد ، لأنّ أخباره كانت قد انتشرت في المدن الإسلامية . فهو شاب فاسق يشرب الخمر ، و يقضي أوقاته في اللهو مع القرود و الكلاب .

و في مدينة الكوفة و غيرها من المدن كان المسلمون يتمنّون أن يكون الحسين (عليه السَّلام) بن علي سبط سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) خليفة للمسلمين ، فهو ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، و رجل صالح معروف بالتقوى و الإيمان و الإحسان إلى الفقراء .

من اجل هذا بعث المسلمون في الكوفة آلاف الرسائل ، و راحت وفودهم تستنجد به ليخلّصهم من ظلم بني أمية .

المدينة المنورة

بَعث يزيد بن معاوية إلى حاكم المدينة ــــ و كان اسمه " الوليد " ــــ رسالة جاء فيها : خُذ الحسين (عليه السَّلام) ، و عبد الله بن عمر ، و عبد الرحمن بن أبي بكر ، و عبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ، و من أبى (رفض) فاضرب عنقه ، و ابعث برأسه إليّ .

كان يزيد طاغية يقتل الناس دون ذنب ، تُرى ماذا سيفعل الإمام الحسين (عليه السَّلام) ؟



في منتصف تلك الليلة من ليالي رجب سنة ٦٠ هـ ، بعث الوليد حاكم المدينة المنورة الشرطة إلى مترل الإمام الحسين (عليه السَّلام) ، لكي يأخذ منه البيعة ليزيد .

قال قائد الشرطة للإمام :

الأمير يطلب منك الحضور في القصر .

عرف الإمام ماذا يريد الأمير منه في هذه الساعة من الليل .

قال الإمام :

ـ عودوا سوف آتي خلفكم .

استدعى الإمام أهل بيته و رجالا من بني عمه ، فأصبحوا ثلاثين رجلا ، و كان فيهم ابن عمه مسلم بن عقيل .

امسك الإمام الحسين بعصا كانت لجدّه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و انطلق إلى قصر حاكم المدينة .

و قبل أن يدخل الإمام قصر الوالي ، أوصى أهل بيته بالانتظار في باب القصر ، فإذا حدثت مشاجرة بين الإمام و الحاكم ، فعليهم باقتحام القصر بالقوة .

دخل الإمام الحسين (عليه السَّلام) القصر و اجتمع بحاكم المدينة " الوليد " .
و كان في مجلس الوليد رجل من بني أُمية ، هو " مروان بن الحكم " و كان

رجلا يحقد على أهل البيت (عليهم السلام) أيضا .

أخبر الوليد الإمام بموت معاوية ثم عرض عليه أن يبايع يزيد بن معاوية .

طلب الإمام من الوليد تأجيل الموضوع إلى غد قائلا :

ـــ مثلي لا يبايع سراً فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم .

تدخل مروان و قال بخبث :

احبسه حتّى يبايع أو تضرب عنقه .

و هنا غضب الإمام و قال :

ـــ يا بن الزّرقاء أنت تقتلني أم هو ؟

و التفت الإمام إلى الوليد قائلاً بغضب :

ـــ أيها الأمير ! إنا أهل بيت النبوّة و معدن الرسالة ، و مختلف الملائكة ، بنا فتح الله ، و بنا يختم ، و يزيد رجل شارب الخمور ، و قاتل النفس المحرّمة ، و مُعلن بالفسق ، و مثلي لا يبايع مثله ... و لكن نصبح و تصبحون ، و ننظر و تنظرون ، أيّنا أحق بالخلافة .

و ارتفع صوت الإمام ، فاقتحم مسلم بن عقيل و من معه من الرجال القصر ، و فرّ الحرّاس ، و خرج الإمام من القصر .



ذهب الإمام إلى قبر جدّه سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله) يودعه . و في الليلة التالية جمع الحسين (عليه السَّلام) أهل بيته ، و أخبرهم بأنه سوف يغادر المدينة إلى مكة المكرّمة .

و في قلب الليل خرجت قافلة سيدنا الحسين إلى مكة ، و الإمام يردّد الآية الكريمة " فخرج منها خائفاً يترقّب قال رب نجني من القوم الظالمين " .

الثورة

وصل الإمام مكة في ٣ شعبان سنة ٦٠ هـ أي في ذكرى ميلاده المبارك .

وصلت آلاف الرسائل من الكوفة و غيرها تدعو الإمام إلى الثورة , استلم الإمام في يوم واحد ٦٠٠ رسالة .

كان الحسين يتألّم من أجل المظلومين ، و يعمل من أجل خلاصهم من الظلم ، لهذا صمّم على الثورة ، و الأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر .

استدعى الإمام ابن عمه مسلم بن عقيل و أمره أن يذهب إلى الكوفة ، و سلّمه رسالة إلى أهالي الكوفة و قال له :

ــ اني مُوجّهك إلى أهل الكوفة ، و سيقضي الله من أمرك ما يحبّ و يرضى ، و أنا أرجو أن أكون أنا و أنت في درجة الشهداء .. فامض على بركة الله و عونه ... فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها .

انطلق مسلم بن عقيل يعبر الصحاري و التّلال ، قاطعاً مئات الأميال حتى وصل المدينة المنورة .

الطريق إلى الكوفة

في المدينة صلّى مسلم في مسجد النبي (صلى الله عليه و آله) ثم استأجر دليلين ليقطع الصحراء من المدينة إلى الكوفة .

كان الفصل صيفاً ، و رياح الصحراء شديدة الحرارة ، و لكن مسلم كان يتحمل عناء السفر في سبيل الله و من أجل الناس المظلومين .

و في منتصف الطريق و وسط الصحراء أضاع الدليلان الطريق ، و نفد الماء ، و كان الحرّ شديداً ، فشعرا بالتّعب ، و وقعا على الأرض ، و مات الدليلان .

انطلق مسلم وحيداً و اختار إحدى الجهات و توكّل على الله ...
و راح مسلم يعبر الصحراء المليئة بالرمال حتى وصل إحدى الواحات في الطريق ، فنظر إلى السماء و شكر الله سبحانه .

و توقف مسلم في تلك الواحة أيّاماً ، كتب خلالها رسالة إلى الإمام الحسين يخبره بموت الدليلين ، و أنه ينتظر أوامره الجديدة . و جاء الجواب من الإمام (عليه السّلام) يأمر بالسفر فوراً إلى الكوفة و لا يتأخّر .

و هكذا استأنف مسلم رحلته عبر الصحراء إلى مدينة الكوفة فوصلها في ٥ شوال .

في منزل المختار

اختار مسلم بن عقيل منزل المختار الثقفي ليحلّ ضيفاً عليه ، و المختار بن عبيدة الثقفي من المسلمين الصالحين و المؤمنين المتقّين .

كان الناس في مدينة الكوفة ينتظرون قدوم الإمام الحسين ، فقد ملّوا ظلم الأمويين و اشتاقوا إلى عدل الإمام علي .

سمع أهل الكوفة بقدوم مسلم بن عقيل و حلوله ضيفاً في منزل المختار الثقفي ، فجاءوا يرحّبون بمقدمه ، و مبايعته على إقامة حكم الله .

قرأ مسلم رسالة الحسين إلى أهالي الكوفة :

ـــ بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين و المسلمين .

أما بعد :

فإنّ " هانئاً " و " سعيداً " قد قدما عليّ بكتبكم ، و كان آخر من قدما عليّ من رسلكم ... و قد فهمت كلّ الذي قصصتم و ذكرتم ، و مقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام غيرك ، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى و الحق ، و قد بعثت إليكم أخي و ابن عمّي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، و أمرته أن تكتب إليّ بحالكم و أمركم ، فإن كتب أنه قد أجمع ملؤكم ، و ذوو الفضل و الحِجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم ، و قرأت في كتبكم ، أُقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله .

فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب ، و الآخذ بالقسط ، و الدائن بالحق ، و الحابس نفسه على ذات الله .

شعر المسلمون بالأمل ، و هم يستمعون إلى رسالة الإمام الحسين (عليه السَّلام) .

نهض المختار و بايع سفير الحسين على إقامة حكم الإسلام ، و الثورة ضد الظالمين ، و نصرة المظلومين و المقهورين . و في ذلك اليوم بايع آلاف الناس حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفاً .

فمن هو مسلم بن عقيل ؟

مسلم

هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، ابن عم الإمام الحسين (عليه السَّلام) ، قال عنه الإمام كما ورد في رسالته إلى الكوفة : أخي و ابن عمّي و ثقتي من أهل بيتي .

و مسلم من التابعين الصالحين ، و كان عالماً ، و شجاعاً لا يخاف أحداً إلاّ الله سبحانه .

عبيد الله بن زياد . . . جلاد العراق

نقل الجواسيس في الكوفة ، أخبار وصول مسلم بن عقيل ، و تأييد الناس له إلى يزيد في دمشق .



استشار يزيد رجلاً نصرانياً اسمه " سرجون " . كان سرجون يحقد على المسلمين ، فاقترح على يزيد أن يعيّن على الكوفة ، الجلاّد عبيد الله بن زياد ، و يطرد حاكمها السابق النعمان بن بشير .

أصبح عبيد الله بن زياد حاكماً على الكوفة ، و بدأ على الفور مهمته في البحث عن مسلم بن عقيل .

ابن زياد حاكم قاسي القلب لا يرحم الصغير و لا الكبير ، في يده السوط ، يضرب به كلّ من لا يركع له أو يطيع أوامره . لهذا بعث الجواسيس في كلّ مكان ليلقوا القبض على مسلم ، و أصدر مرسوماً بصلب كلّ من يجدون مسلم بن عقيل في داره .

في منزل هانئ

اختفى مسلم عن الأنظار و لم يعد يعرف أحد أين يعيش . و كان الجواسيس يبحثون في كلّ مكان دون جدوى ... كان مسلم قد لجأ إلى منزل أحد المؤمنين الشجعان ، و هو هانئ بن عروة . حلّ مسلم ضيفاً في منزل هانئ .



و ذات يوم حلّ أحد الزعماء ، و هو شُرَيك بن الأعور ضيفاً على هانئ أيضاً . و جاء أحد أفراد الشرطة يخبر هانئ أن حاكم الكوفة سوف يأتي لعيادة الضيف المريض .

و قال هانئ : و متى سيأتي الأمير ابن زياد ؟

أجاب الشرطي : في المساء .

سمع شُرَيك بن الأعور بهذا الخبر ، و برقت عيناه بالفرح . تُرى لماذا فرح الضيف المريض بذلك ؟

كان شُرَيك هو الآخر يكره ابن زياد الحاكم الظالم فوجد في زيارته فرصة لقتله ... و لكن كيف ؟

تحدّث الضيف مع مسلم حول خطّة لاغتيال ابن زياد . قال :

ـــ سوف يأتي ابن زياد لعيادتي .

ـــ سمعت بذلك .

ـــ لا تدع هذه الفرصة تفلت من يدك .

ـــ كيف ؟

ـــ الأمر بسيط اخْتَبِى في الحجرة ، و راقب حركاتي جيداً ، فإذا نزعت عمامتي فاخرج و اضربه بسيفك .

ـــ و لكن .....

و في الأثناء سمع الجميع أصوات الشرطة . لقد جاء الأمير مع حرّاسه .

اختْبَأَ مسلم خلف أحد الأبواب و راح يراقب المكان .

دخل ابن زياد ... و سلّم .... و راح يسأل عن حاله و صحّته .

رفع شُرَيك عمامته و وضعها ... و لكن مسلم لم يخرج ... فلبسها ثّم رفعها مرّة أخرى ... و لكن لا شيء .

نهض ابن زياد بعد أن رأى المريض يقوم بحركات غير مفهومة ، و ظنّ أنّ ذلك من أثر الحُمَّى .

غادر ابن زياد المترل و معه شرطته و حرّاسه .

خرج مسلم و بيده السيف . قال شريك في أسف :

ـــ لماذا لم تقتله يا مسلم ؟! لقد كانت فرصة ... إنه يبحث عنك . و عندما يعثر عليك سيقتلك .

أجاب مسلم في إيمان و شجاعة :

ـــ أعرف ذلك ... و لكني تذكرتُ حديثاً لرسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول : المؤمن لا يغدر ، لهذا لم أقتله .

قال شُريك :

ـــ إن ابن زياد أخبث إنسان ، بل هو رجل كافر يقتل المؤمنين ،

و هو يغدر بالأبرياء .

قال مسلم :

ــ أنا أقتدي برسول الله . و الغدر ليس من أخلاق المؤمن .

تعجب شريك لذلك و أزداد حبّه لمسلم ، و عرف أنّ مسلم ليس ابن عم الحسين فقط ، بل هو أيضاً يقتدي بأخلاقه و أخلاق جده .

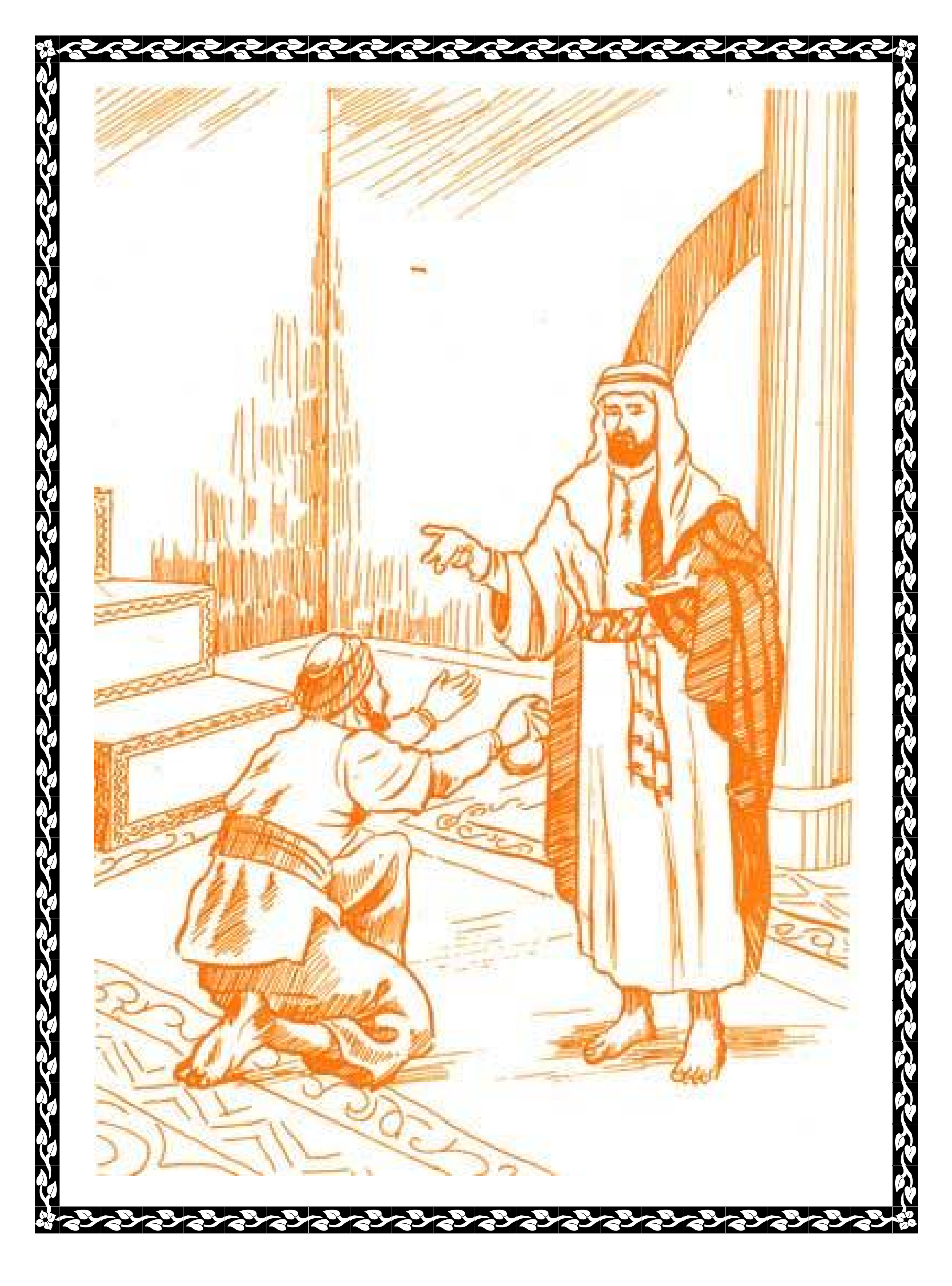
لم يستطع الجواسيس العثور على مسلم ، و كان هناك جاسوس ذكي اسمه " معقل " ... جاء مع ابن زياد ، و لم يعرفه أحد . وضع هذا الجاسوس خطّة ذكيّة ليكشف المكان الذي يختبئ فيه مسلم .

تظاهر الجاسوس بأنه رجل من أهل الشام ... و أنّه يحبّ أهل البيت (عليهم السلام) .

راح " معقل " الجاسوس يتردّد على المسجد الأعظم في الفجر و الظهر و المغرب ... يتظاهر بالصلاة ... و لكنه كان يصغي إلى حديث الناس لعلّه يسمع منهم بعض المعلومات ... و ذات يوم رأى شيخاً على وجهه سيماء الصلاح و الإيمان ... سأل عنه فقيل له أنه مسلم بن عوسجة و هو من محبّي أهل البيت (عليهم السلام) .

كان مسلم بن عوسجة يصلّي بخشوع .

اقترب معقل منه و جلس ، و تظاهر بالحزن .



عندما أتمّ مسلم بن عوسجة صلاته ، قال الجاسوس :

ــ ايّها الشيخ الصالح ! أنا رجل من أهل الشام أنعم الله عليَّ بحبّ أهل البيت (عليهم السلام) و قد سمعت بأن مسلم بن عقيل قد جاء إلى الكوفة ممثّلاً عن الحسين ... و عندي ثلاثة آلاف درهم ، أريد أن أقدّمها له ... و لكنّى لم أجد أحداً يدلّني عليه !

قال مسلم و قد شكّ في أمره :

ــ أنا أيضاً لا أعرفه و لا أعرف مكانه !

و استأنف ابن عوسجة صلاته ... و لكن معقل ظلّ في مكانه و راح يتظاهر بالحزن و البكاء . و قال لمسلم بعد أن أتمّ صلاته :

ــ أُعاهد الله و أُعاهدك بأن لا أخبر أحداً ... دلّني عليه ... حتى أبايعه و أُسلّم له هذا المال ... أرجوك يا شيخ !!

للأسف صدّق " مسلم بن عوسجة " أكاذيب الجاسوس ، فقال له : إذا عاهدتني فسوف أدلك على مكانه .

أصبح الجاسوس صديقاً لمسلم و راح يزوره دائماً و كان أول من يدخل عليه و آخر من يخرج منه . و كان يفتح أُذنيه و عينيه لجمع المعلومات ، حتى إذا عرف كل شيء ، اختفى معقل الجاسوس ، دون أن يخبر أحداً . و كان أول المتهمين هانئ بن عروة الشيباني .

في قصر الحاكم

في منتصف الليل و الناس نائمون ، جاء بعض رجال القصر و طرقوا الباب على هانئ ، و قالوا له بأن الأمير مشتاق لرؤيته و أنه يطلب حضوره للتحدّث إليه .

دخل هانئ القصر ، و أُغلقت الأبواب بإحكام ، فعرف أنّها حيلة ليلقوا القبض عليه .

دخل فسلّم ... و لكن ابن زياد لم يردّ عليه السلام !

ــ كان ابن زياد يلوّح بسوطه في الهواء .

قال هانئ :

ــ ماذا حصل أيّها الأمير ؟

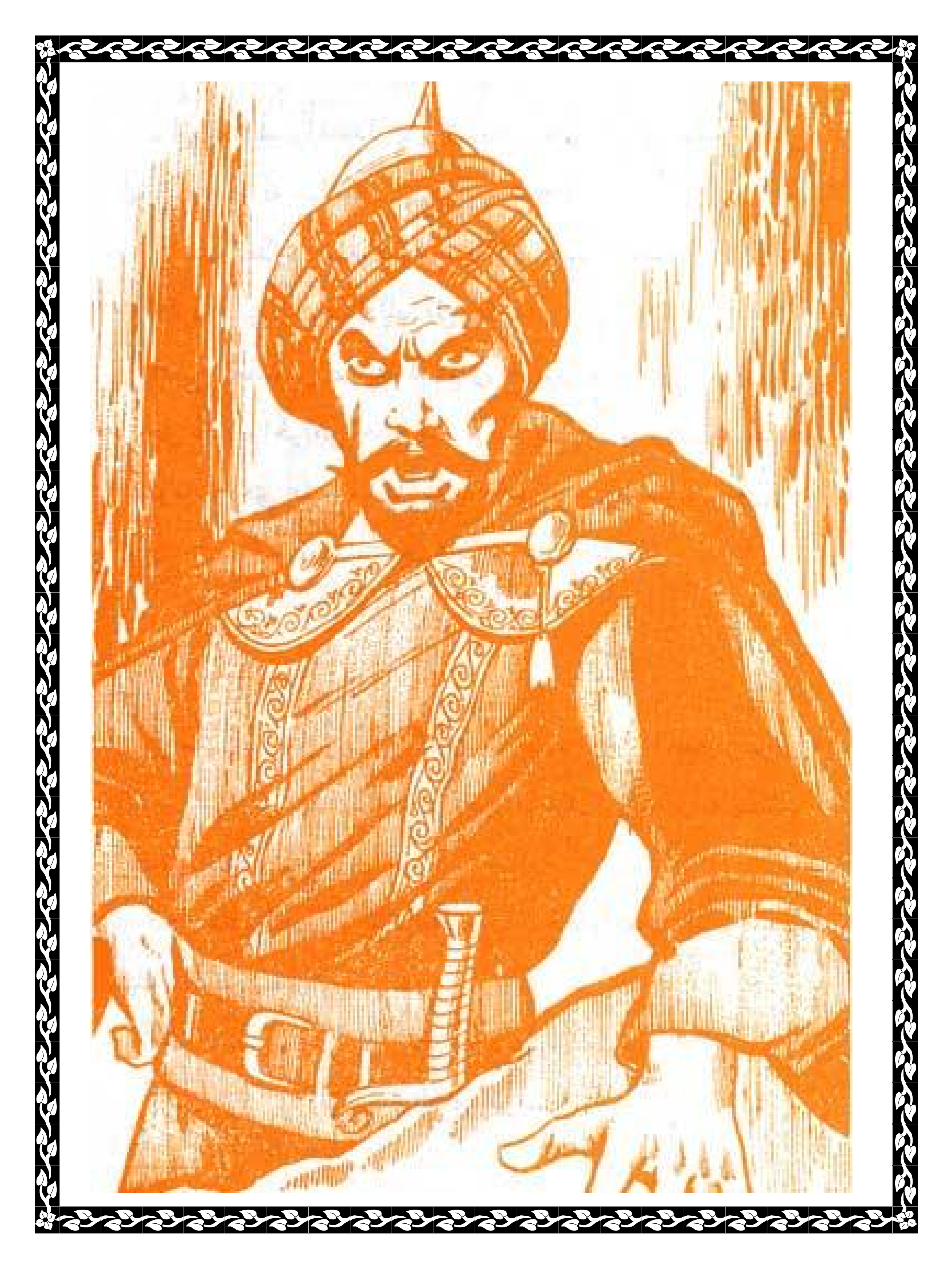
ــ و ماذا تريد أن يحصل أكثر من ذلك ؟ تخفي مسلم بن عقيل و تجمع له السلاح و الرجال !!

قال هانئ :

ــ لم أفعل ذلك أبداً .

و هنا صاح ابن زياد :

ــ اخرج يا معقل !!



خرج الجاسوس و نظر إلى هانئ . عرف أن معقل الذي كان يتظاهر بالإيمان و حبّ أهل البيت و الحسين لم يكن سوى جاسوس قذر .

التفت هانئ إلى ابن زياد و قال :

ــ الحق أنّ مسلم ضيفي . و إذا كان الأمير لا يحبّه فسوف أطلب منه أن يترك بيتي فوراً .

صاح ابن زياد بحقد :

ــ كلاّ . عليك أن تحضره فوراً إلى القصر .

قال هانئ بغضب :

ــ أنا لا أخون الضيوف !

و هنا ضرب ابن زياد وجه هانئ بالسوط و تدفّق الدم . و أمر الحرّاس أن يلقوه في السجن .

الثورة

سمع مسلم باعتقال هانئ فقدّم موعد الثورة .

و في فجر يوم الثامن من ذي الحجة ، دوّت صيحات الرجال ، و

ارتفعت في الفضاء بيارق الثورة ضد الظالمين .

و تقدّم آلاف الثائرين باتّجاه قصر الإمارة و حاصروه .

أغلق ابن زياد أبواب القصر . لم يكن في القصر سوى مئتي رجل من أعوان النظام ... من الذين باعوا ضمائرهم ليزيد ، أمثال الشمر بن ذي الجوشن ، و محمد بن الأشعث ، و شبث بن ربعي و غيرهم .

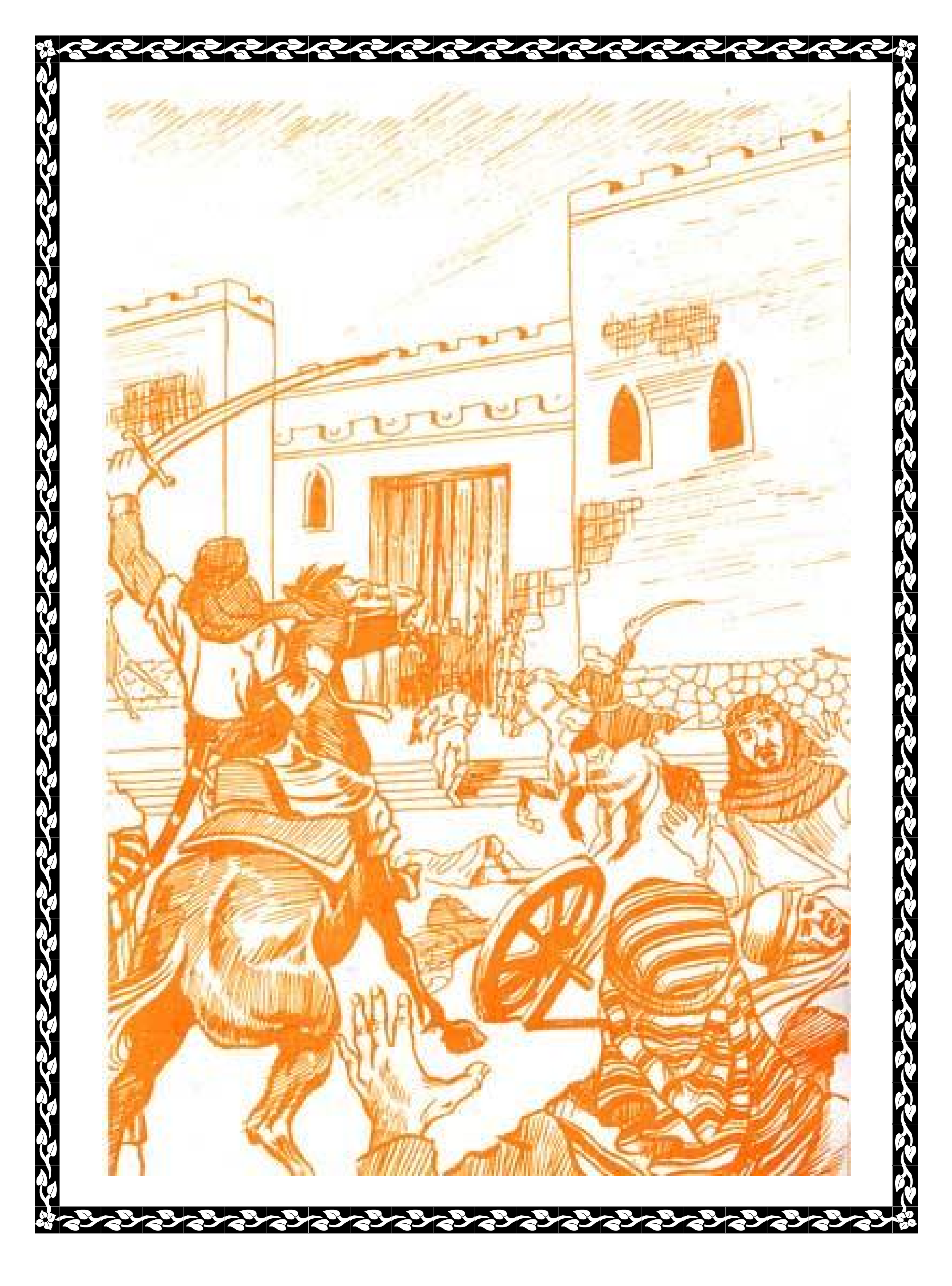
حدثت مناوشات بالسهام و استمرّ الحصار إلى الظهر . صلى مسلم بالناس في المسجد الأعظم ، و كان إلى جنب القصر ...

الجيش الخيالي

أمر ابن زياد أعوانه أن يصعدوا على سطح القصر و أن يخوّفوا الناس صاح الشمر و غيره من أعوان النظام :

يا أهل الكوفة !... سوف يأتي جيش من الشام و سوف يحتلّون مدينتكم ، و يهدمون منازلها ... عودوا إلى بيوتكم ... قبل أن يأتي جنود الشام ...

للأسف صدّق الناس هذه الشائعات . فكان الأب يأتي إلى ابنه و يقول : لماذا تقتل نفسك ؟ عد إلى البيت و لا تتدخل في مثل هذه الأمور .



و كانت الأم تأتي إلى ولدها و تقول : يا بني سوف يأتي جيش الشام و يذبحون الناس . من الأفضل أن تعود معي .

حلّ المساء ، و صلّى مسلم بالناس في المسجد . و عندما أتم الصلاة التفت وراء فلم يجد سوى ثلاثين رجلاً فقط ...

سأل مسلم نفسه

ـــ و لكن أين كلّ تلك الألوف ؟!

أدرك مسلم أن أهل الكوفة قد غدورا كعادتهم ... و مضى مسلم يشقّ طريقه إلى محلّة " كندة " . و كلما دخل زقاق كان الذين معه يفرّون هنا و هناك ، حتى بقي وحيداً .

و استمر مسلم يشقّ طريقه في ظلام الليل ، و هو لا يعرف اين يذهب !!

ابن زياد . . . يضحك

لم يصدق ابن زياد أنّ أكاذيبه في قدوم جيش من الشام سوف تهزم تلك الألوف التي كانت تحاصر القصر .

صعد عبيد الله فوق سطح القصر و ألقى نظرة ، فلم يَرَ أحداً ، و لم يسمع صوتاً . أمر بإلقاء المشاعل ... تحوّل الليل حول القصر إلى النهار ، و عرف ابن زياد أنّ أهل الكوفة خافوا ، و أنهم تركوا مسلم وحيداً . فضحك ضحكة شيطانيّة .

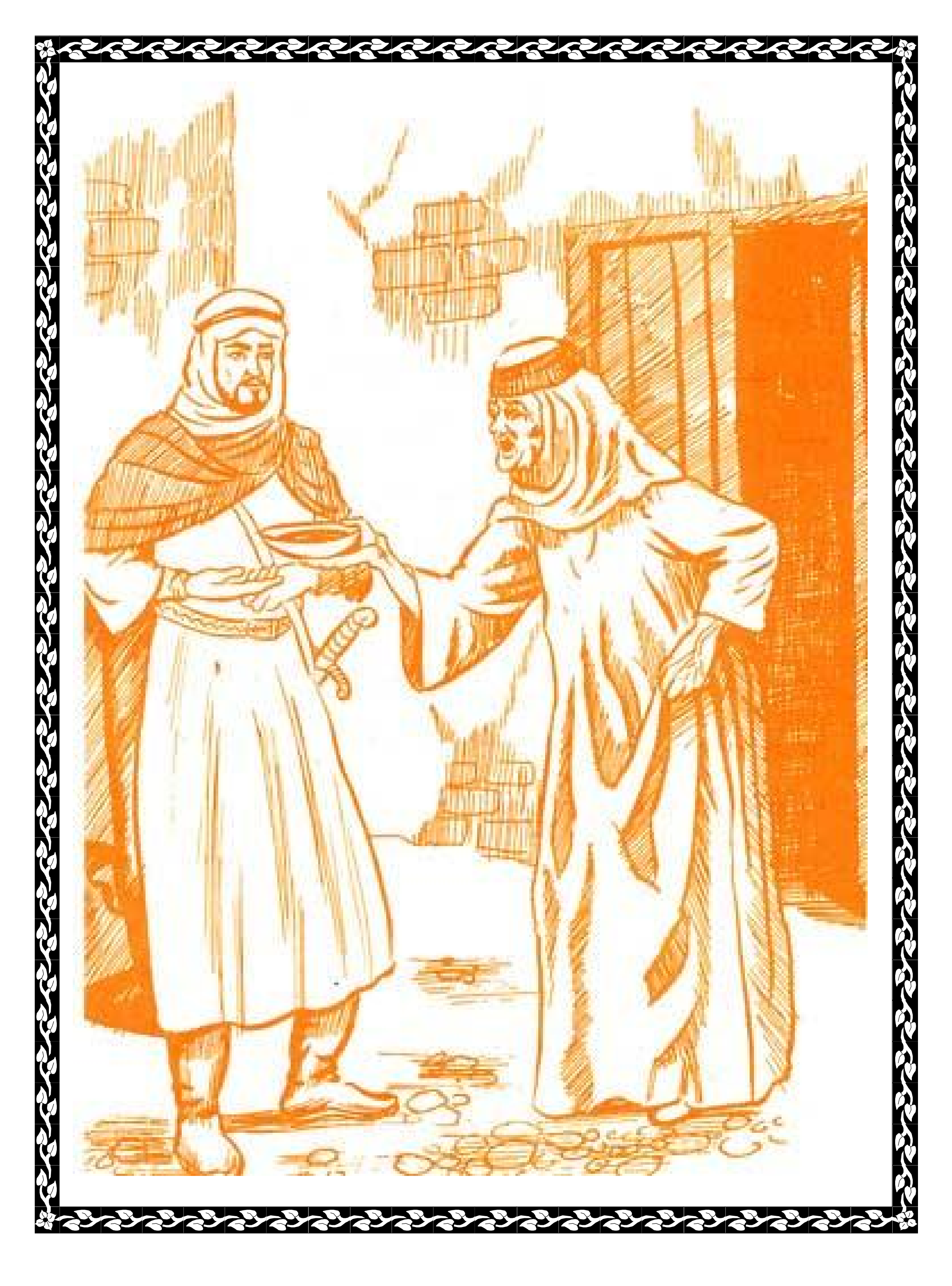
خرج عبيد الله ابن زياد إلى المسجد ، و أضيئت المشاعل ، و اصدر أوامره باستدعاء رجال الشرطة .

و قال لقائدهم الحصين بن نمير :

ـــ حاصروا الكوفة . من جميع جهاتها و لا تتركوا لمسلم فرصة للهرب ، و فتّشوا البيوت بيتاً بيتاً ، فمن وُجد مسلم في بيته فاصلبوه و اهدموا بيته !

أين ذهب مسلم؟

في ظلام الليل كان مسلم يشقّ طريقه ... لم يكن يفكّر بالأخطار التي تحدق به . كان يفكر في شيء واحد هو : كيف يخبر ابن عمه الحسين بغدر أهل الكوفة ، فيعود إلى مكة :



شعر مسلم بالتعب ... جلس على دكّة قرب باب احد المنازل في محلّة " كندة " كان عطشاناً لكثرة ما مشى في ظلام الليل ...

و في الأثناء ... خرجت امرأة عجوز . كانت امرأة طيبة ... اسمها طوعة ... كانت تنتظر ابنها . قال مسلم :

ــ أريد قليلاً من الماء .

أسرعت المرأة العجوز و أحضرت قدحاً من الماء ... ظنّت أنّ هذا الرجل قد جاء من السفر و هو ظامئ .

سألت العجوز مسلم بن عقيل بعد أن رأته حائراً :

ــ لعلك غريب .

أجاب مسلم :

ــ نعم ... أنا غريب في هذه المدينة ...

ــ من أنت ؟

ــ أنا مسلم بن عقيل .

تعجّبت المرأة و قالت :

ــ و أين تلك الأُلوف من الناس التي كانت معك ؟

ــ لقد غدروا بي ، و تركوني وحيداً .

لم يبقَ معي أحد يدلّني على الطريق .

قالت المرأة بحزن :

ـــ لماذا تقف هنا يا مسلم !

أجاب مسلم :

ـــ و إلى أين أذهب ؟

قالت المرأة الطيّبة :

ـــ إلى بيتي يا مسلم .

دخل مسلم البيت ضيفاً عزيزاً . و أفردت له المرأة الطيّبة حجرة في زاوية المترل ، لكي يبقى مسلم في مأمن من الشرطة .

في منتصف الليل عاد الابن ، فرأَى أُمه تذهب إلى تلك الحجرة لتقوم بواجب الضيّافة . فسألها عن سرّ ذهابها هناك فسكتت .

ألحَّ الابن و أقسم أنّه لن يخبر أحداً بالسرّ ، فقالت المرأة الطيّبة :

ـــ في المترل مسلم بن عقيل !

تظاهر الابن الماكر بالسكوت ، و برقت عيناه بالطّمع . كان يطمع بجائزة الأمير عبيد الله بن زياد التي خصّصها لمن يقدّم معلومات تساعد في إلقاء القبض على الثائر الشّريد .

الرؤيا

نام مسلم تلك الليلة بعد أن أمضى وقتاً طويلاً منها في الصلاة و الدعاء إلى الله . و كانت خيول الدوريات تخترق الأزقّة بحثاً عنه .

كان مسلم يشعر بالتّعب ، فرقد في فراشه و أغمض عينيه .

رأى مسلم في عالم الرؤيا عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ... رأى وجهه المضيء يبتسم بحنان ...

عانق مسلم عمّه العظيم . قال العمّ و هو يحتضن ابن أخيه ، و يربت على كتفه :

ـــ أنت معي غداً .

استيقظ مسلم قبيل الفجر ، فتوضّأ و صلّى .

عيد الأضحى

أطلّ فجر اليوم العاشر من ذي الحجّة ، و هو عيد الأضحى المبارك . و لكن مدينة الكوفة لم تحتفل ذلك العام بالعيد ، و لم تبدُ عليها معالم الفرح ... كان رجال الشرطة يبحثون في البيوت عن مسلم بن عقيل .



في ذلك الصباح انسلّ الابن العاقّ و ذهب إلى القصر ، و هو يفكر بالجائزة .

أدخله الحرّاس على ابن زياد حاكم الكوفة . و أخبره عن مكان مسلم .

و أصدر الحاكم على الفور أوامره بإلقاء القبض عليه . و خرج مئة فارس إلى محلّة كندة حيث لجأ مسلم هناك .

كانت الأرض تهتز تحت حوافر الخيل . سمع مسلم أصوات الخيول ، و عرف بأنهم قد عرفوا مكانه ، فأخذ سيفه ، و نهض مثل الأسد .

اقتحم الجنود المنزل و لكن مسلم هجم عليهم و أخرجهم بالقوّة . و أصبح الزقاق ساحة للمعركة .

لم يصمد له أحد . و تمكّن مسلم من قتل الكثير من أولئك المجرمين .

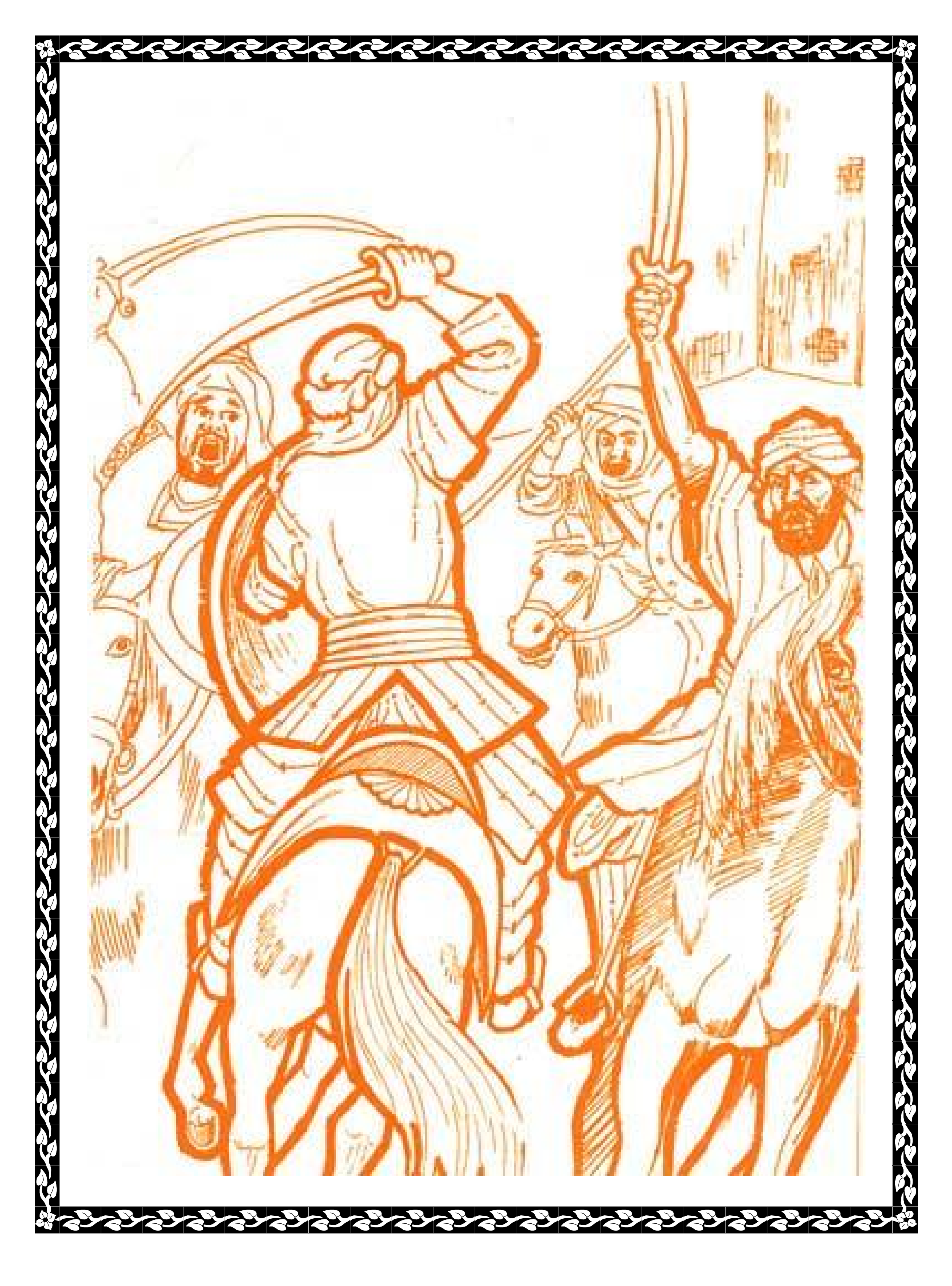
بعث قائدهم ابن الأشعث إلى الحاكم يطلب منه الإمدادات .

تعجب ابن زياد و صرخ بغيظ :

ـــ إنه رجل واحد .

فأجاب ابن الأشعث :

ـــ أتظنّ بأنّك أرسلتني إلى بقّال من بقالي الكوفة ، إنه سيف من سيوف محمد (صلى الله عليه و آله) .



و تذكر الناس و هم يشاهدون مسلم يقاتل ببسالة ، تذكروا عليَّ بن أبي طالب ، ذلك الرجل الشجاع ، و بطل الإسلام ... الذي لا يخاف أحداً إلاّ الله .

كان مسلم يواصل القتال و المقاومة ... و كانت جراحه تنزف دماً .

صعد بعض الجنود إلى سطوح المنازل ، و راحوا يرمونه بالحجارة . و يشعلون حزم القصب بالنار ، و يقذفونه بها ... و مع كل ذلك كان يقاوم .

كان مسلم يقاتل بحماس عجيب ، و كان يهتف في هجومه على العدو الغادر :

أقسمتُ ألاّ أُقتلَ إلاّ حُراً ...

شعر مسلم بالإعياء و قد نزفت من جراحه الدماء ... فاستند إلى الجدار ليستريح قليلا ... فانتهز العدو المجرم الفرصة ، و أطلق عليه عشرات السهام ، و عشرات الحجارة ... و مشاعل النار ... و هوى مسلم على الأرض .

و هجموا عليه كالذئاب المتوحشة و انتزعوا سيفه ... فبكى ... بكى مسلم لأنه لم يعد يستطيع القتال . كان قد أقسم على المقاومة

حتى الموت و لكن نزيف الدماء جعله يشعر بالدّوار ، و لم يعد يستطيع الوقوف على قدميه .

الأسير العظيم

أُخذ مسلم أسيراً إلى القصر ... كان ما يزال يشعر بالإعياء و التعب و العطش . رأى مسلم في باب القصر جرّة مليئة بالماء .

فقال :

ـــ اسقوني من هذا الماء

فقال الشرطي :

ـــ لن أسقيك حتى قطرة واحدة

فقال مسلم :

ـــ ما أقساك و أفظّك !

جلس مسلم و أسند ظهره إلى جدار القصر .

فتح باب القصر و أدخل مسلم على ابن زياد .

فقال الحارس لمسلم :

ـــ سلَّم على الأمير .

أجاب مسلم :

ــ إنه ليس أميراً .

أطلق ابن زياد ضحكة شيطانية و صاح :

ــ سواء سلّمت أو لم تسلّم فسوف أقتلك .

قال مسلم بشجاعة :

ــ إن تقتلني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير منّي .

قال ابن زياد بنفاق :

ــ لقد خرجت على إمامك ، و شققت عصا المسلمين ، و أثرت الفتنة أجاب مسلم بثبات :

ــ كذبت إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية و ابنه يزيد ، و أثار الفتنة أبوك ... و أنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يَدَي شرّ الخلق .

أراد مسلم أن يوصي لأنه سوف يقتل بعد قليل . نظر إلى الجالسين فلم يعرف سوى عمر بن سعد فقال له :

ــ إنّ بيني و بينك قربة ، و أريد أن أُوصيك ببعض الأُمور . و لكن عمر بن سعد كان جباناً ، فرفض أن يقوم مع مسلم .

أراد ابن زياد أن يعرف وصيّة مسلم . فأمر بن عمر بن سعد أن ينهض مع مسلم .

أخذ مسلم عمر بن سعد إلى زاوية في صالة القصر ، و كان ابن زياد يراقبهما .

قال مسلم :

ــ أتقبل وصيّتي ؟

ــ نعم .

قال مسلم :

ــ إنّ عليّ في الكوفة ديناً يبلغ ستمئة درهم ، فبع سيفي و درعي و سدّد منهما الدين .

ــ و ماذا بعد ؟

ــ أن تدفن جثماني .

ــ و ماذا بعد !

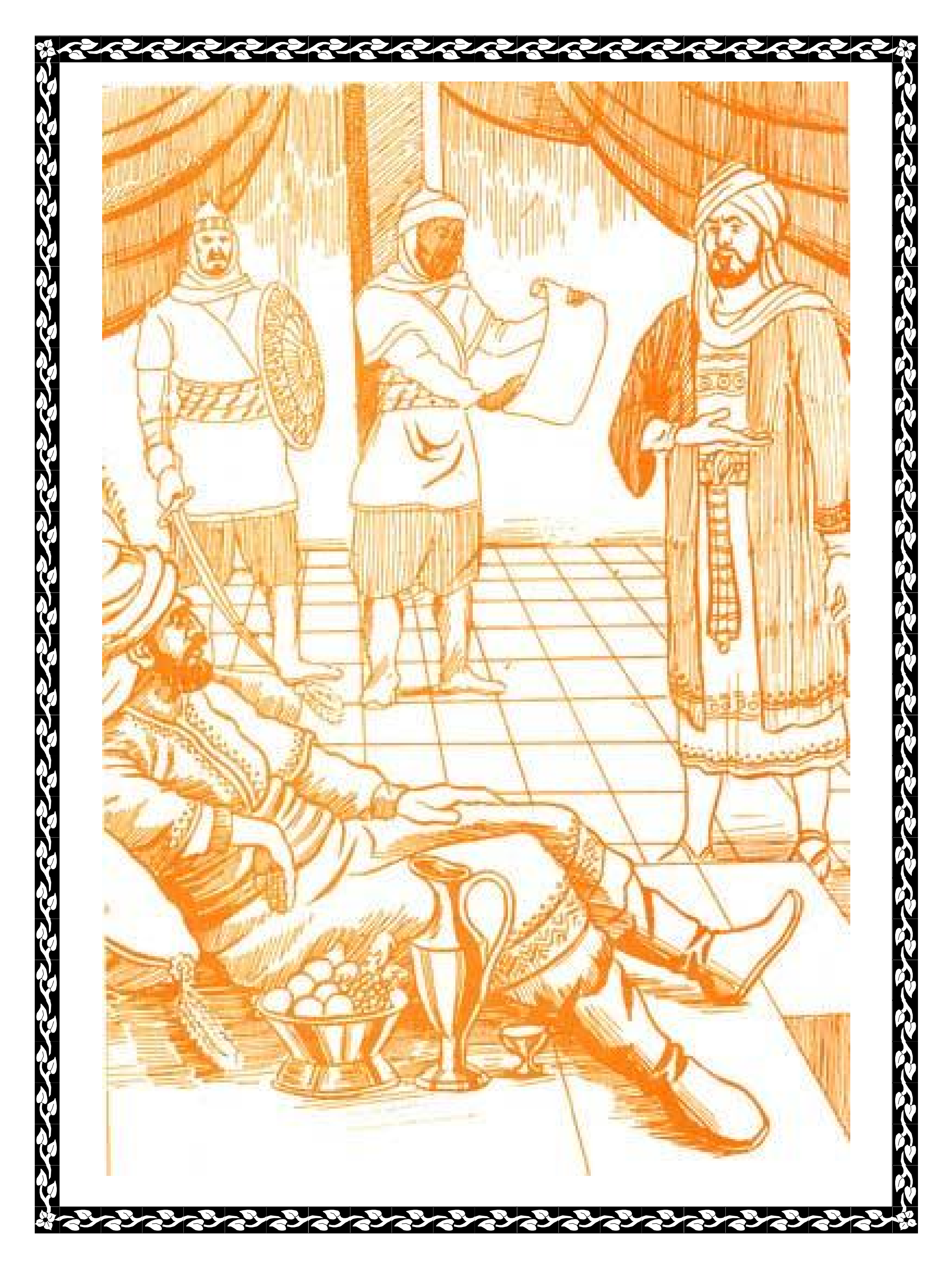
ــ لقد كتبت إلى سيدي الحسين رسالة و أخبرته بوفاء أهل الكوفة ، فاكتب إليه أنهم غدروا ... فلا يأتي إلى الكوفة .

جاء عمر بن سعد و أفشى كل ما قاله مسلم إلى ابن زياد .

التفت ابن زياد إلى مسلم و قال مرّة أُخرى :

ــ لقد فرّقت بين الناس .

قال مسلم :



ــ كلاّ ! ... و لكن أهل الكوفة كتبوا إلينا أن أباك زياد قتل الأخيار ، و سفك الدّماء ، و عمل فيهم أعمال كسرى و قيصر . فجئنا لنأمر بالعدل ن و ندعو إلى الحكم القرآن .

قال ابن زياد :

ــ إنّنا نحكم بالعدل .

قال مسلم :

ــ إن الله ليعلم أنّك غير صادق . إنّك لتقتل الناس على العداوة و سوء الظن .

تعجب الحاضرون من شجاعة مسلم و جرأته .

صاح ابن زياد و راح يشتم عليّاً و عقيلاً و الحسين .

فقال مسلم بشجاعة :

ــ أنت و أبوك أحق بالشتم .

صاح ابن زياد بالحراس :

ــ خذوه إلى سطح القصر و اقتلوه ، و ارموا جسده من فوق القصر . و واجه مسلم الموت بشجاعة . صعد مسلم سُلَّم القصر ، و هو يتمتم :

ــ لا إله إلاّ الله ... سبحان الله ... الله اكبر .

كانت السماء صافية ... كان القصر يشرف على سوق الكوفة .

تجمّع الناس ينظرون إلى مسلم دون شعور بالحياء .

رفع مسلم عينيه إلى السماء الزرقاء و قال :

ـــ اللهم احكم بيننا و بين قوم غرّونا و خذلونا و كذّبونا .

ثم التفت إلى جهة المدينة المنورة و هتف :

ـــ السلام على الحسين .

و تقدّم الجلاّد ، و أهوى بالسيف على رأس لم يركع إلاّ لله الواحد القهار .

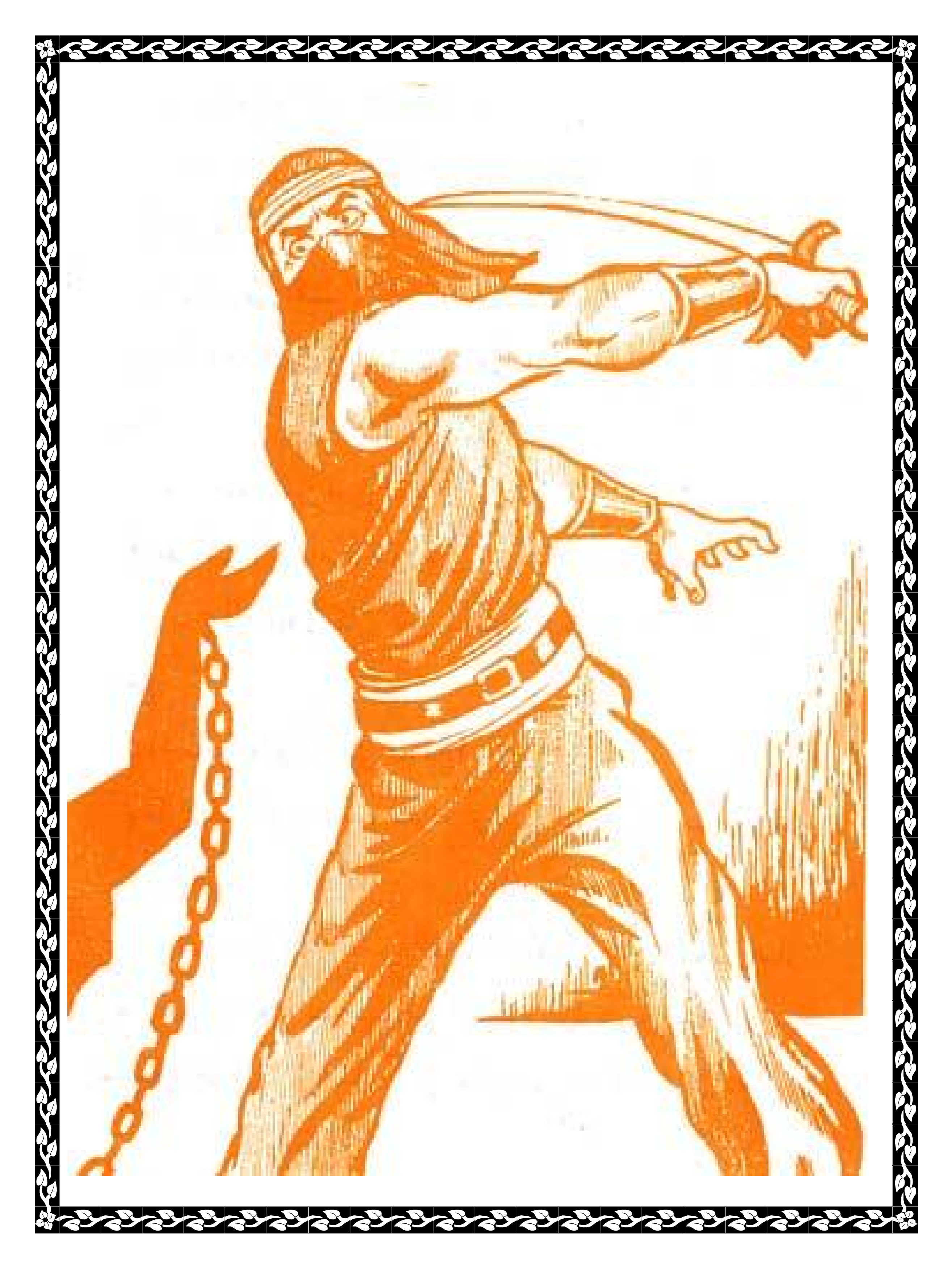
و رمى جسده من فوق القصر .

أصدر ابن زياد أمراً بقتل هانئ بن عروة ، فأُخرج إلى السوق في مكان يباع فيه الغنم . كان هانئ مكتوفاً فصاح يستنجد بقبيلته مدحج :

ـــ و امذحجاه ! و أين منّي مذحج ؟

و لكنّ أحداً لم يستجب لندائه . و هكذا لقي هانئ مصرعه على أيدي الجلاّدين .

كان ابن زياد مجرماً قاسي القلب . لم يكتف بقتل مسلم و هانئ ، و إنّما أصدر أوامره بسحبهما من أرجلهما بالحبال في الأسواق ، ثم صلبهما منكوسين . و أرسل رأسي الشهيدين العظيمين إلى دمشق ،



حيث يحكم الطاغية يزيد بن معاوية ، و فرح يزيد و أرسل رسالة إلى ابن زياد :

ــ " ... إنه قد بلغني أنّ الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر و المسالح و احترس على الظنّ و خذ على التهمة ... "

في منطقة زرود

كان الإمام الحسين (عليه السَّلام) قد غادر مكة قبل انتهاء مراسم الحجّ و اقتصر على العمرة ... حتى لا تستباح حرمة بيت الله ، و في منطقة تدعى زرود ، فيها عيون للماء . حطّت القافلة رحلها لتستريح .

جاءت الأخبار إلى قافلة الحسين حول مصرع مسلم و هانئ فبكى الحسين كثيراً ، و ترحّم عليهما . و شعر أصحاب الإمام و أهل بيته بالغضب ممّا يفعله المجرمون الذين لا يخافون الله فيقتلون الصالحين .

و قال الرجل الذي جاء بالخبر للإمام :

ــ ارجع يا بن رسول فإنّ أهل الكوفة قد غدروا بك ، و ليس لك فيها ناصر .

و لكن الإمام رفض ذلك و قال :

ـــ لا خير في العيش بعد هؤلاء .

و هكذا استمرّت قافلة الحسين تطوي الصحراء باتجاه الكوفة .

و اليوم فإن من يذهب إلى مدينة الكوفة ، سوف يشاهد آثارها العديدة ...

سوف يرى قصر الإمارة و قد أصبح مجرّد خرائب و أنقاض ، و سيشاهد بالقرب منها قبّة جميلة ، و منائر تعلو في السماء ... و المؤمنون يأتون من المدن القريبة و البعيدة يتبرّكون بزيارة مرقد الشهيد مسلم بن عقيل ، الذي استشهد في عيد الأضحى سنة ٦٠ هـــ ، و يلعنون يزيد و عبيد الله بن زياد و كل الحكّام الظالمين .

و إذا أردت يا عزيزي أن تعرف ماذا حصل بعد ذلك فتعال لنقرأ معاً الكتاب الثاني من هذه السلسلة .